نهج البلاغة وأهميته الدينيّة والعلمية والأدبية (قراءات معاصرة)

بحث أعدّه

الأُستاذ الدّكتور

حميد آدم ثويني

١٤٣٣هـ بغداد ٢٠١٢م

التقديم:

ما مِنْ شكٍ في أنَّ الكتابة عن نهج بلاغة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) في تمام الكلام، ليس بالسهل، ولا اليسير، لأنَّ أقواله وأفعاله مرّت بحقب زمنية متباعدة، وعصور اعتقادية خضعت لظروف سياسيّة قسرية، ألقت بظلالها على ما نقل عنه من نصوص، ناهيك عمّا خضعت له من أمور ارتبطت بالجوانب الاعتقادية والأنفعالية فصار من الصّعب على أيِّ باحث مهما كانت قدرته وحدود أفقه، ومعين ثقافته أنْ يُلّمَ بما يمكن أن يؤدي إلى إعطاء حقّ القول وفي صفحات عديدة، ولأَنَّ كلَّ لفظ في عنوانات كلامه (عليه السّلام) يحتاج إلى تقصي واستقطاب، وإلى تأمّل وتفكير، واستذكار وتمحيص لما كتب عنه، وهل الذي كتب خضع لميول أو داهن فيه الكاتب لما عرض، لأنَّ كلام الإمام (عليه السّلام) (مثال)، والمثال أقرب إلى واقع الكمال والكمال، يعتمد الاعتقاد، وذلك أمر صعب، ليس بإمكان الإنسان أنْ يرقى إلى مستوى قول الحقيقة لكونها تحتاج إلى سمو ورفعة عقلية بعيدة عن الميول العاطفية الأنفعاليّة، وتلك الرفعة، وذلك السمو، يقع تحت مؤثرات عدّة، قد ترجع إلى مكونات التغيير التي حدثت في المجتمع الإنساني، والذي كان لصاحب النّهج الدور البارز الذي أُوكل إليه قولاً وفعلاً، فلا مجال للقول الفصل في أيّة مفردة، أو لفظة تحدد لتكون البداية فيما يعرض، وهوَ غيض من فيض، ولهذا رأيْتُ أنْ أبدأ بتوضيح مقاصد النّهج، ودلالته إلى جانب مقاصد البلاغة ومناحيها في تطوّر مفهومها، بصفتها مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهي أن تصل الألفاظ إلى تمام مدلولاتها على المعاني المُرادة، لذلك كان الشريف الرضي (رحمه الله) مصيباً تمام الأصابة، وقاصداً أقصى القصد في إعطاء ما جمعه عبارة (نهج البلاغة) والتي أوقعها على ما أقرّه من خطب، وأوامر، وحكم ومواعظ، ورسائل وأمثال، عُدّت ثروة معنوية ارتقت مكاناً متميزاً في عالم الأدب والمعرفة، وأمست مادة بنيوية، جعلَتْ من كلام الإمام (عليه السّلام) وفيما وصل منه، ذا متعة ذوقية وعاطفية تاقت إلى تمام المعاني في منافعها، وحوت جمالاً فنياً رائعاً، لصدورها عن عقلٍ مُجرّب، واسع الأدراك، عميق الشّعور، تبصّر بدقائق الأمور، فيسبر أغوارها مَن فهم، ويعينها على قصد الفائدة، لأنَّ الأفكار قد أرسلَتْ إرسالاً مقنعاً، ابتعدت عن الاضطراب في الألفاظ، وتناهت عن ضعفها، فتدفقت معانيها في كلِّ عبارة أو جملة بتوافق عجيب مثري اتسق وانتظم، ولم يعهد ذلك في كلام غيره (عليه السّلام) فيما روي من أقوال نثرية جاءت عن حقبته حاشا القرآن الكريم، وما نقل عن النّبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وعليه يمكن أنْ يُعدّ ما سطّر هو محاولة متواضعة لقراءة قد تكون هادفة، حيث سارت في تمهيد بيّن المفهومات لنهج البلاغة، وأهمية العامة في المكونات الثقافية الإسلامية، بعده جاء مبحثان الأوّل في الأهداف الخاصة، والتي تطرّقت إلى الأهمية الدينية، معتمداً فيما عُرض على تحصيل للنصوص التي بيّنت رأي الإمام (عليه السّلام)، وما هدف من مقاصد دينية جُبلت على قوة الاعتقاد والإيمان المطلق بالرسالة السمحاء، والثّاني، محظ تأمّل واتساق لما رأيته من أقوال أفاضت في الأهمية العلميّة والأدبية الخاصة، ولم أفصل بين المطالب العلمية وبين الأدبية، لأنَّ العلم هدف وغاية

دارت على موارد العقل وتبنت التطبيق لمقاصد الإنسان في ديمومة بقاءه، ولكون الأدب ينبوعاً ثراً، يميل إلى العاطفة، ويعتمد التنشئة الاجتماعيّة، ولا يحتاج إلى تطبيق، إذ هو وسيلة وسبيل قد يعتمده العلم لتقريب المطلوب، وتحديد الغايات التي قد تسمو، أو تنخدع فتهبط ولا ترقى إلى مستوى طموح الإنسان في خدمة مجتمعه وتطوره في مقاصدها. ثُمَّ كانت الخاتمة التي أشارت إلى ما توصل إليه ما ذكر من أمورٍ بنيت على الاستقراء أو الاستنباط، والله من وراء القصد.

التّمهيد

مفهومات نهج البلاغة وأهميته بعامة في المكونات الثقافية الإسلاميّة

تشير دلالة لفظة النّهج: إلى الطّريق، فيقال: نهج فلانُ الطَّريق: بيَّنهُ، وأتانا فلانٌ يَنْهَجُ: إذا أتى مبهوراً منقطعَ النَّفْسِ[١]. وذلك الطّريقُ ينبغي أن يكون واضحاً، لأنَّهُ المنهاج الذي يعتمدُ[٢]، وهو مستقيم بطبيعة الحال بسيتبان للوصول إلى المقصد[٣] قال تعالى: ﴿...**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾[٤] أيّ أيّها الأمم لكلٍّ منكم جعلنا شرعة للدين وطريقاً واضحاً[٥]، وتلك الحقيقة في مدلولها اللّغوي، مَهدَت للمفهوم المجازي في الدلالة على الإضاءة والسطوع بالقول: (قمرٌ باهِرٌ): ((وهو الذي بهرَ ضوءَهُ الكواكب))[٦]، فيتبيّن أنَّ دلالة لفظة النّهج تفضي إلى مفهومات: الإبانة، والوضوح وإدراك الطّريق المستقيم لتوخي سلوكه[٧]، فيخلص المدلول إلى الاستعمال على الوجه الواضح الذي يُقرّ فيعتمده الناس قولاً وفعلاً[٨]. وذلك المفهوم يتفق مع ما يبتغيه المرء وينشده من غايات سامية تقترن بالوضوح، والاستقامة، والاستبانة لمعالم السير في الحياة[٩]، والانبهار بالغلبة على كلِّ شيءٍ، والتكليف فوق الطاقة لنيل المطالب العالية، ناهيك عن راحة النّفس واطمأناتها بشم الرائحة الزاكية عن نبات طيب الرائحة[١٠] ويأتي مدلول اللّفظة من الفعل نهج أو أنبهج متعدياً ولازماً[١١]، ولا يخرج في دلالته عن المعاني الفاضلة التي تبيّن ما ينبغي أن

---

[١] مجمل اللّغة (لابن فارس) (ت٣٩٥هـ): ٣/٨٤٥/ نهج.

[٢] تنظر: مفردات ألفاظ القرآن (للراغب الأصبهاني) (ت٤٢٥هـ): ٨٢٥/نهج.

[٣] ينظر: أساس البلاغة (للزمخشري) (ت٥٣٨هـ): ٢/٤٧٤/ نهج.

[٤] سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

[٥] تفسير القرآن الكريم (شبّر) (ت١٢٤٢هـ): ١٦٥.

[٦] أساس البلاغة: ١/٧٠/بهرَ.

[٧] ينظر: مختار الصحاح (للرازي) (ت٦٦٦هـ): ٦٨١/نهج، ولسان العرب (لابن منظور) (ت٧١١هـ): ٢/٣٨٣/نهج، والمصباح المنير (للفيومي) (ت٧٧٠هـ): ٢/٢٩٨/النهج، ومختار القاموس (للطاهر الزاوي): ٦٢١/نهج.

[٨] ينظر: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللّغوية (للكفوي) (ت١٠٩٤هـ): ٧٦٩/النهج.

[٩] ينظر: المعنى العام في المعجمات اللغوية جميعها/مادة نهج.

[١٠] ينظر: مختار الصحاح: ٦٧/بهر، ولسان العرب: ٤/٨٢/بهر، ومختار القاموس/٦٥/بهر.

[١١] المصباح المنير: ٢/٢٩٨/النهج.

تكون عليه أحوال الناس في الأقوال والأفعال[١٢]، أما البلاغة، فقد جاءت من جذر الفعل (بلغ)، وما اشتق منه للدلالة على الوصول والانتهاء فيقال: (بلغ فلان المكان): أي وصل إليه، وشارف عليه، وبلغ الصّبي: أدرك سنّ الرُشد، ووصل إليه، فهو بالغ، وكذا الفتاة بالغة، وبلغ العامل الغاية والمطلوب في عملهِ إذا أجاده على نحو تامٍ، وبالغ الخطيب يبالغ مبالغة: إذا اجتهد في القول ولم يقصّر، وبلّغته الأمر والرسالة: أوصلتهما إليه وبَلّغتْه ما يريد: أي أوصلته إلى بغيته ومطلبه[١٣] وتلك الدلالات اللّغويّة: أشار إليها القرآن الكريم في نحو قوله سبحانه: ﴿...**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ**﴾[١٤]، وقوله جلَّ وعلا: ﴿... **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[١٥]: أي إنْ لم تبلّغ ما أمُرْت به من الوصاية بالخلافة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فما أوصلْتَ رسالة ربِّك كاملة[١٦] وقوله عزَّت قدرته: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ...**﴾[١٧] أي إذا طلب مِنْكَ المشرك الإجارة فأجره بَعْدَ أن يسمع كلام الله، وأوصله إلى المكان الذي يأمن فيه ويطمأن[١٨]، فعند المقاربة بين دليلي اللّفظتين (النهج والبلاغة) نرى أنَّ هُناك توافقاً وتقابلاً بين اللّفظتين في المضمون، إذ النهج طلب الاستقامة للوصول إلى المقاصد، والبلاغة الوصول والانتهاء إلى الأهداف بمطابقة القول والفعل أي: إنَّ الألفاظ ينبغي أن تصل إلى تمام معانيها في تأدية المطالب، والمطابقة لمدركات تراكيبها اللّغويّة المحددة في السياق، وذلك ما قصده جامع كتاب النهج الشريف الرضي (رحمه الله) (ت٤٠٦هـ)، وقررّ لما وعاه من خطب وأوامر، وكتب ورسائل، وحكم ومواعظ، وردَت عن أمير المؤمنين (عليّ) (عليه السّلام) (ت٤٠هـ)، ولم يحظ أيّ كتاب مثل ما حظي به من الأهمية قديماً وحديثاً[١٩] حاشا القرآن الكريم وتفاسيره، والحديث النبوي الشريف وأسانيده، ويبدو أنَّ شخصية أمير المؤمنين (عليه السّلام) وما جسدته على واقع الحياة وعلى مرِّ العصور قد جعلت مِنْ نهجه

---

[١٢] ينظر: لسان العرب: ٣٨٣/٢/نهج، و٨١/٤-٨٢/بهر.

[١٣] ينظر: مختار الصحاح: ٦٣/بلغ، ولسان العرب: ٤١٩/٨/بلغ، ومختار القاموس/٦٢/بلغ.

[١٤] سورة البقرة/من الآية/٢٣٤، وسورة الطلاق، من الآية: ٢.

[١٥] سورة المائدة، الآية: ٦٧.

[١٦] ينظر: تفسير القرآن الكريم: ١٦٨. وعن أهل البيت (عليهم السلام)، وابن عباس، وجابر: إنَّ الله أوحى إلى نبيه أنْ يستخلف علياً (عليه السلام)، فكان (صلى الله عليه وآله وسلّم) خشى أنْ يشق ذلك على جماعة من أصحابه فنزلت هذه الآية فأخذ بيده فقال: ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم قالوا: بلى، قال: (مَنْ كُنْتُ مولاه فعليّ مولاه).

[١٧] سورة التوبة، من الآية: ٦.

[١٨] ينظر: فصول في بلاغة القرآن (د.حميد آدم ثويني): ١٤٠ وما بعدها.

[١٩] ينظر: العُذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: د. أحمد الربيعي-بغداد – مطبعة العاني، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ. وموارد ابن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة تأليف يحيى رمزي محسن، دار الحوراء للطباعة والنشر، بغداد ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ، وهذا الأخير سطا على جهود الأوّل وقولبها وفق مشيئته وقدّمها لرسالة إلى معهد المؤرخين العرب دون وازع ضمير. مع الإشارة إلى الكتاب لكي تضيع فعلته.

البلاغي موضع شك في نسبته إليه، ولسْتُ بصدد تناول ذلك[٢٠]، لأَنَّ شخصية الإمام كانت ظاهرة في ألفاظه ومعانيه، والتي لم يرق إليها بشر في عصره عدا صاحب الرسالة النبي محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) فضلاً على ورود النصوص عند كُتّاب وعلماء سبقوا عصر المرتضى بمئات السنين، ونصوص النهج دلت على عقيدة سامية آمنت بتطبيق القول والفعل، وذلك لا ينبع ويعقد إلاَّ على مَنْ آمن برسالة السماء إيماناً جازماً، لم يراع الخواطر، ولم يحاب الوجوه، بَلْ التزم الشدّة والصرامة في الدفاع عن حقوق الناس فرديّة كانت أم جماعيّة، وتلك الصرامة والشدّة في القول والفعل، لم توطّن، ولم تعهد عند غيره، فَعُدّ (عليه السّلام) مثلاً عالياً في مطابقة القول للفعل[٢١]، وكلّ ما ذكر بيّن وواضح في نهج الإمام (عليه السّلام) وبلاغته والذي عُدّ ثروة لفظيّة ومعنويّة، جعلَتْ مِنْ كلامهِ ذا متعة وجمالٍ أخاذٍ تجلّت فيه بوضوح عبقرية الإمام التي جاءت من عقلٍ متدفق يدفع المتلقي تقبّل القول دون تمحيص لمدلوله، لأهمية الأقوال ومنافعها التي تبنّت الإدراك الواسع والعميق الذي يبتعد عن الأسفاف في تقصيه دقائق الأمور، إذ يسبر غورها، فترسل أفكار مُنْخَّلةً، قوية ثابتة، مبتعدة عن الضعف والاضطراب، فتندفع من ألفاظه المعاني بترابطٍ، واتساق غير معهود عصره وما بعده، قد يبنى على خيالٍ ذي سعة في الأفق، ودقّةٍ في التصّوير، ويوطّد ويوطّن من واقع الحياة، وقد يعتمد في أحواله على الأمثال التي تسير وفق المكونات الثقافية، لأبناء جيله ومن عاصره، ومَنْ فهم المكونات الفكريّة، التي جاء عليها الإسلام فاقرّها أو خالفها بما قدم من بدائل. وكلّ ذلك أسس على مَلَكة كلاميّة إلهاميّة، ممّا سما بنثره الفني عن قدرات غيره بجمعه بين طرفي الطّبع والصّنعة والتي لم يألفها قوّال عصره حتّى لا تميّز بينهما، وأنْتَ تقرأ عباراته لتمازجها، وحسن تأثيرها في القارئ والمتلقي، وكلّ تلك الخصائص والمزايا متقابلة مجتمعة، وما رافقها من نفخٍ إلهي وإلهام قدسي، ففي خطبه مثلاً توخى النواحي العقائدية وعالجها، والفلسفيّة اللاهوتية وطمأنّها من الدين إلى جانب النواحي الفقهيّة والأخلاقيّة، إذ جمع طرفي الفكرة بنظريها وبتطبيقها العملي قال (عليه السّلام): ((العِلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف بالعمل، فإنْ أجابه، وإلاَّ ارْتحل عنه))[٢٢] فالعلم يريد العمل ويطلبه ويناديه، فإنْ وافق العمل العلم حصل الالتزام بالتطبيق، وإلاَّ ذهب العلم، فلم يتفقا، ولم يقترنا، فخالف بعضهما بعضاً، فابتعد العمل عن واقعه العملي وقال (عليه السّلام): لرجل سألهُ أنْ يعظهُ: ((لا تكُنْ مِمّن يَرْجو الآخرة بغير العمل، ويُرجِّي التوبةَ بطولِ الأمل، يقول في الدُّنيا بقولِ الزاهدين، ويَعْمَلُ

---

[٢٠] ينظر: شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) (٦٥٦هـ) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم: ٨/١ وما بعدها، وتاريخ الأدب العربي، حنا فاخوري: ٣٢٢. والموجز في الأدب العربي وتاريخه للمصنف نفسه: ٣٥٣.

[٢١] وحتّى اسمه صدق عليه السمو والعلو، فقد جاء من علا يعلو – علواً فصار الاسم منه– عليو. فتقدمت الياء على الواو، وإذا اجتمعت الياء والواو وتقدمت الياء الغالبة على الواو، قُلبَتْ الواو ياءً وأدغمت في الياء، إذ صارت عليَيْ، وبعدها عليَّ، كما عرفْت عمّا جاء في كتب التصريف واللّغة، فكانت الرفعة والتعالي في الأخلاق والمبادئ.

[٢٢] نهج البلاغة (شرح الشيخ محمّد عبده): ٨٥/٤.

فيها بعملِ الراغبين))[٢٣]، فقد قرن الإمام في وعظه السائل القول بالفعل، إذ جعل التوبة بالفعل المباشر دون تأخير، فيؤجل تطبيقه على أمل التوبة، فيقول في الدنيا بما يراهُ الزاهدين بما فيها، ويعمل بعمل الراغبين فيها، باعتماد طول الأمل، وتلك النّصيحة قد توخي بها الإمام أنْ تتفق سلامة النية مع صدق المقصد، فبات من الطبيعي أنْ يبقى نهج البلاغة على مرّ العصور، وتوالي الدّهور مثار إعجاب، وموضع إفادة لِمَنْ رغب، فيرى فيه رجل الدين فضيلة وعقيدة، وصاحب الفلسفة حكمة ووعظاً ونصيحة، والمتبصّر في الاجتماع والسياسة دستوراً اجتماعياً وسياسياً رفيعاً بعيداً عن الغث والخلط في الأحكام. وطالب الأدب مثالاً أسمى، ومعيناً يرتوي منه، إذا ما جفَّ غثيان غيره، والقاصد للغة دليلاً وبرهاناً على صحة مورد القول، ومطابقة الكلام لواقع حاله، ولهذا كانت أهميته العامة تنحصر فيما أثاره من أمور ارتبطت بأحوال الإنسان الدنيوية، والدينية، والسياسيّة، والعسكريّة، والاجتماعيّة، والإداريّة، والعلمية، والأدبية، ولذا رأيت أن أقرّر بعد ذلك مبحثين.

المبحث الأوّل

أهمية نهج البلاغة الدينيّة

لا مشاحة في القول: إنَّ الدِّي: يُقال للطاعة والجزاء، وقد استعير للشريعة الألهية السّمحاء قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ...**﴾[٢٤]، وقالَ جلَّ من قائل: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ...**﴾[٢٥]: أيّ ومِنْ أحسن طاعة، وقال سبحانه: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ...**﴾[٢٦]، وذلك أمرٌ مطلوب في ضرورة اتباع نهج النبي ودينه (صلى الله عليه وآله وسلّم). الذي هو أوسط الأديان[٢٧]، فلابُدَّ من أنْ يكون ربيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) حاملاً لمقاصد الدين ودواعيه في نهجه، إذ بدت السمة الغالبة لمواعظه الدينية، وفي كلِّ خطبه تأملات عميقة معبرة عن صدق المقصد، ونظرات ما ورائية ثرة الآفاق، إذ حوت مضامينها الموضوعات اللاهوتية والفلسفية العالية، وبمقدرة عجيبة لا تضاهى، ولا غرابة في ذلك، لأَنَّ الإمام عليّ (عليه السّلام) وكما يقول له النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): ((أَنْتَ يَعْسوب الدين والمالُ يعسوب الظلمة))، وفي رواية أُخرى: ((هذا يعسوب المؤمنين، وقائد الغرّ المحجلين))[٢٨]، وفي رواية ثالثة: ((يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين، وقائد

---

[٢٣] نهج البلاغة (شرح الشيخ محمّد عبده): ٣٨/٤.

[٢٤] سورة آل عمران، من الآية: ١٩.

[٢٥] سورة النساء، من الآية: ١٢٥.

[٢٦] سورة النساء، من الآية: ١٧١.

[٢٧] مفردات الراغب الأصبهاني: ٣٢٣.

[٢٨] ينظر: شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ٣٩/١.

الغرّ المحجلين، وخاتم الوصيين))[٢٩] ونهج بلاغته جاء مطابقاً لما وصف به (عليه السّلام) فقد ((سار في الناس ذكره، وتألق نجمه، أشأم وأعرق، وأتجد وأتهم، وأُعجب به الناس حيث كان، وتدارسوه في كلِّ مكانٍ، لما اشتمل عليه من اللّفظ المنتقي، والمعنى المشرق، وما إحتواه من جوامع الكلم، ونوابع الحكم في أسلوب متساوق الأغراض، محكم السّبك، يُعدّ في الذروة العليا من النثر العربي الرائع))[٣٠]، ويمكن إجمال أهميته الدينية بما يأتي:

١- الدعوة إلى توحيد الاعتقاد بالله، قال (عليه السّلام) يصف الخالق: ((...كائنٌ لا عن حدَثٍ، موجود لا عن عدم، مع كُلِّ شيءٍ لا بمقارنة، وغير كُلِّ شيءٍ لا بمزايلةٍ، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصيرٌ إذ لا منظور إليه مِنْ خلقهِ، متوحد إذ لا سَكنَ يَسْتأنسُ به، ولا يستوحش لفقده، إنشأ الخلقُ إنشاءً، وابتدأهُ ابتداءً، بلا رويةٍ أجالها، ولا تجربة استفادها...))[٣١]، فالخالق على رأي الإمام (عليه السّلام) موجود، ولكن لا عن إبداء وإيجاد، وما بَعْدَ ذلك لازمة بأنّه غير مسبوق الوجود بالعدم، وهو غير كُلّ شيءٍ لا بمفارقة، ولا مباينة، ولا اختلاف، وهو بصير بخلقه قبل وجودهم، وهو مع كلِّ شيءٍ لا بمقارنة، وهو غير كلِّ شيءٍ لا بمفارقةٍ ولا بمباينة واختلاف، وهو متوحد، ليس لهُ حدود في مكان بعينه فهو متنوه عن السكن، ومعروف عُرفاً أنْ لا يستأنَسْ بقربه ولا يستوحش لبعده، لانفراده إذ لا سبيه لهُ من مخلوقاته، وذلك الخلق لم يكن محظ روية أدارها ورددها بَلْ بما قدّر، وصرف الأمور التي أرادها سبحانه، فالذي يتأمل تلك العبارات، يلتمس روح الإمام (عليه السّلام) وهي تبسط حقائق الواحد الأحد، واصفاً إيّاه بقلبه المفعم بالإيمان، ليس فيه لبس، ولا موارية، بَلْ كلامه لاهوتياً فلسفياً عبّر عن تجربة عالم، مُجرد لحقيقة ما يقول، وذلك علمٌ دينيٌّ نابضٌ بالحياة، قادرٌ على التأثير، ولعلَّ الأهمية الدينية أكثر وضوحاً.

٢- تبصره بالفقه، ودعوته إليه بقوله: ((مَنِ اتجرَّ بغير فقهٍ فقد ارتطمّ في الرِّبا))[٣٢]، فالتاجر الذي ليس لهُ دراية بالفقه، لا يأمن من الوقوع في مضامين الرّبا جهلاً بعدم المعرفة، فيصطدم بجاهلة الوقوع في المعاصي، وتلك صفة لا يمكن نفيها عن سلوك التاجر وارتكابه المعصية دون أن يكون دارياً.

٣- وفي الجوانب الفلسفيّة العقائديّة التي تحتاج عبارتها إلى تأمل ونظر في مضامينها قال (عليه السّلام): ((أيّها النّاس، شَقّوا أمواج الفِتَن بسفن النَّجاة، وعَرْجُوا عن طريق المنافرة، وضَعُوا تيجان المفاخرة. أفلح مَنْ نَهَضَ بجناح، أو استسلَم، فأراح، ماءٌ آجنٌ، ولَقُمةٌ يَغصّ بها آكلُها. ومجتني الثَّمرَة لغيرِ وقتِ إيناعها كالزّارع بغيرِ أرضه، فإنَّ أقُلْ يقولُوا حَرصَ على المُلكِ، وإن أسكُتْ يقولوا: جزعَ من المَوْتِ،

---

[٢٩] حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ): ٦٣-٦٤. بسنده عن أنس ابن مالك، ((يا أنس: أوّل مَنْ يدخل مِنْ هذا الباب: أمير المؤمنين، وسيّد المرسلين، وقائد الغرّ المحجلين وخاتم الوصيين)).

[٣٠] الموجز في الأدب العربي (حنا فاخوري): ١٨٠-١٨١.

[٣١] نهج البلاغة (عبدة): ١٦/١، وينظر: في الموروث الفكري للإمام عليّ (عليه السّلام)، د.حميد آدم ثويني: ٢٤.

[٣٢] المصدر نفسه: ١٠٣/٤.

هيهات بَعْدَ اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنسُ بالموتِ من الطفلِ بثدي أُمِّه، بلِ اندمجْتُ على مكنونِ علمٍ لو بُحْتُ به لاضْطَربتُمْ اضِطراب الأرشية في الطَّوى البعيدة))[٣٣]. العنوانات البعيدة في ألفاظٍ صحيحة التركيب، دقيقة الإرادة للمعاني في مناداة المجهول غير المرئي، لإدراكه بعدم قدرة مَنْ خاطبهم في سبر غور مُراده، ومناجاة فكره، واعتماد مبتغاه، حاشا القلّة القليلة من النّاس الذين استلهموا مواضع الحكمة، وابتعدوا عن المباهاة والمفاخرة، فتخلصوا من الفتن، ونجوا منها بتركها، والعدول عن الزهو، وقد وطّنَ الإمام (عليه السّلام) في تلك العبارات القليلة أجود الاستعارات وأحسنها لما تضمنت من مناسبات قولية بين المستعار له، والمستعار منه، ففي قوله: ((شقّوا أمواج الفتن بسفن النّجاة)) قد أقرَّ حقيقة قد كلّت عن رؤيتها الأبصار السقيمة، وجحدتها العقول التّائهة، لأنَّ الفتن، قَدْ تتضاعف وتترادف، فأحسن تشبيهها بأمواج البحر المضطربة، والمتلاطمة، ولمّا كانت السفن الحقيقية تنجي من أمواج البحر العاتية، والتي قد تؤدي إلى الغرق والهلاك، لذلك فضّلَ أن يستعار لفظ السّفن لما ينجي عن الفتن، وهو ما أراد به آراء أهل البيت (عليهم السّلام)، لكون ما يشيرون إليه ينجي ممّا يندفع إليه الناس في دنياهم، وآخرتهم تطميناً لقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم): ((مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق))[٣٤]، فالإمام (عليه السّلام) قد جعل للنجاة من التياه، والضلالة مسارين:

الأوّل: النهوض بجناح: وهو استعارة بكناية عن الموت لأنّه شبّه الذي يموت ويفارق الحياة بطائر ينهض عن الأرض بجناحيه أو بإنسان يعتزل النّاس، ويسيح في الأرض منقطعاً عنهم، وعن تكاليف الدّنيا، أو يسعى إلى الحكم بين الناس بأنصار ينصرونه، وأعوان يجاهدون بين يديه، أو يريح نفسه، ويسلّم أمره إلى دعاة العدل، وهم أهل البيت (عليهم السّلام)، مهبط الرسالة، وعنوان العدالة، وهو الذي قصده الإمام في المسار الثاني، لأَنَّ أمير المؤمنين (عليه السّلام) ببصيرته الثاقبة، وحنكته القادرة، رأى أنَّ الأمْرة على النّاس، وخيمة العاقبة، تُفضي إلى مشقة وتعقيد نفسي في الفانية العاجلة، ففي وجودها القليل مثله، كمثل الماء المتغير الفاسد، يجد شاربه مشقة في شربه، واستساغته، أو كاللّقمة التي تُحدث عند أكلها غصة (شرقة)، بتينك الأمرين (عليه السّلام) رغب عن المنازعة في أمر التحكيم، فاعتذر عن ذلك، لأنّه رسم صورة واقعية تتقبلها أبسط العقول فجعل الإصرار على طلب

---

[٣٣] شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ٢٠٤/١. المفاخرة هو ذكر أحد المتنافرين مفاخرة وفضاله محتكمين إلى ثالث والماء الآجن: المتغير والفاسد، والإيناح: إدراك نضج الثمرة واللتيا: تصغير التي، واندمجت: حويت وانطويت. والطوي البئر المطوية بالحجارة. يريد تخلصوا عن الفتنة وانجوا منها بالمتاركة والمسالمة والعدول عن المنافرة والمفاخرة. نهض بجناح: أي مات، شُبّه المفارق للدنيا بطائر نهض عن الأرض بجناحه. وينظر: مصباح البلاغة (الميرجهاني): ٢٥٥/٢، وبحار الأنوار (للمجلسي: ٢٣٣/٢٨، وفي الموروث الفكري، للإمام عليّ (عليه السّلام). د. حميد آدم ثويني: ٢٧.

[٣٤] تاريخ بغداد: (للبغدادي): ٩٠/١٢ عن أنس بن مالك، والشهب الثواقب لرجم شياطين النواصب (الشيخ عبد الجبار): ١٩٨.

المُلك مثلهُ، مثل: مجتني الثمرة قبل أن ينتفع منها مَنْ اجتناها، أو كمن يزرع في غير أرضه لا يجني ثمر ما زرع، ولأَنَّ الناس لا يقدرون النافع، ولا الضّار، بل يتبعون الأسهل المستساغ الذي تكون معه الغشمة والاستبداد، وسبيله الطّمع، وفحواه الغلظة والنّكد، وضياع الهدف، والمقصد. وقد صرّح وأكّد أنّه وقع (عليه السّلام) في حالين: إنْ قال: بما أقرّه الجاهلون وعنوانات الغِي والضياع، قال المخرصون: حَرُصَ عليّ على الملك، وإنْ رفضَ، قالوا: جزعَ من الموت وخاف، ومال إلى طمع العاجلة، لهذا باعد لظنهم فيه (الجزع) وحرصَ على استخدام حكمته التي اعتمدت على قولٍ بليغٍ، موجزٍ صائب، صدر عن عقلٍ مُدّبرٍ، وتجربةٍ، وخبرةٍ وحكم يُسلّم به، فتقبله العقول، وتأنس به الأفئدةِ، فتنقاد لهُ النفوس والمشاعر إنقياداً، وتتولاه العواطف والأحاسيس دون تردد، في عبارات جامعة سديدة المقاصد، ذات صلة بالحياة العامة، وعلى مر العصور، وتعاقب الأزمان، ومن أجل أنْ يُرسخَ (عليه السّلام) أقواله، مال إلى استدراج الأمثال في محتوى أسلوبه، دون سابق في كلامٍ، أو ألفاظٍ حملَتْ في دلالتها الإيجاز، وشيوع المعاني ودقّتها، وجدتها وصحتها في الدعوة إلى المطلوب الواجب الديمومة فيما عرض فقال ((هيهات بَعْدَ اللّتيا والتي)) فابَعْدَ التي، وقرّب اللّتيا والتي هي الجزع بَعْدَ أنْ قاسى من الأهوال الجسام، والمحن الكبار، ومني بكلِّ داهية كُبرى، والصغيرة هي ((اللتيا)) والكبيرة (التي)، فباعد بين دنياه وآخرته. فأنس بالموت مثل أنس الطّفل بثدي أُمّه، وتلك أصالة في وقع الحدث وشدّة ارتباط بما أراده من رغبة عن الحياة، وميل بإدراك إلى الآخرة، ليقينه بمفهوم ما خاطب الله به رسوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) في قوله تعالى: ﴿ **وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[٣٥] ، فهو لا يقنع نفسه، بَلْ يوطّد عزمها باحتقار الدنيا، ورفض بهرجها لأنّه جازم على قدومهِ على ربٍّ يرضيه، وعلى نفوسٍ راضية مرضية، تستقبله وتأويه، فالناس يفقدونه لما أنطوى عليه، مِنْ علمٍ ممتنع عن معرفته غيره، ولموجبة من عدم المنازعة له، وذلك لا يبوح به، ولو باح به لاضطراب متلقيه كاضطراب الحبال في الآبار البعيدة عن قعرها، وتلك إشارة إلى الوصية التي خصها به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) في وادي (خُم) في يوم الغدير، وكان من جملتها ترك النزاع في مبدأ الاختلاف على الملك.

٤- وعرض الواقع التاريخي الذي كان عليه وآل بيته (عليهم السّلام) بقولهِ بَعْدَ انصرافه من صفين: ((... زَرَعوا الفجورَ، وسقوهُ الغرور، وحصدوا الثّبور، لا يقاس بآل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) من هذهِ الأُمّةِ أحْدٌ، ولا يستوي بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا، هُمْ أساس الدِّين، وعِمَادُ اليقين، إليهم يفيءُ

[٣٥] سورة الضحى، الآيتان: ٤-٥.

الغالي، وبهم يُلْحَقُ التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصية والوراقة))[٣٦]، فالذين انصرف عنهم بعد التحكيم فعلوا من القبائح مثل زرع زرعوه في أرض الأمّة، وما أقرته نفوسهم، وسكنَتْ عليه سرائرهم من إمهال الخالق لغوايتهم وضلالهم، بمنزلة السّقي لتلك الأرض بسيء الأفعال، لأَنَّ غرورهم بما آل إليه أمرهم في الدنيا، بعثهم على مداومة ما كان عليه في جاهليتهم في فعلهم وما قَبُحَ من الأعمال، والرذائل ممّا جعلهم يطلبون المزيد، بَعْدَ أن توسع آملهم في أرض كانت عليهم محرمة قبل إسلامهم، وذلك هو الهلاك والضياع، وهو بعيد عن مسلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) وآل بيته العظام (عليهم السّلام) الذين كانت سيرتهم (الصراط المستقيم)، فمن غالى في دينه، وتجاوز بالأفراط في ابتعاده عن جادة الصّواب، فنجاته من المهالك الدنيوية والأخروية، يعتمد على رجوعه إلى تلك السيرة الطّاهرة لكي يفيء بضلالها، فيفهم وصيته الإمام بالدعوة إلى العمل الصالح، فيتبناه، لكي يرث كلّ ما ينفع في الدنيا، والديمومة الفاضلة في الآخرة، ولعلَّ أحواله في عصره تبدوا أكثر وضوحاً في معصيته وإجباره من قبل جنده على قبول التحكم إذ قال: ((أَمَّا بَعْدَ فإِنَّ مَعْية الناصح الشفيق العالم المُجَرِّب تورثُ الحسرة، وتعقب النّدامة، وقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكم في هذهِ الحكومةِ أَمرِي ونَخَلْتَ لكَمْ مخزون رأيي لو كان يُطاع لِقصيرٍ أَمْرُ، فأَبيْتمْ عليَّ إباءَ المُخالفِينِ الجفاة والمُنابذين العُصاةِ، حتّى أرْتابَ النّاصِحُ بُنْصحهِ، وضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ وإِيَّاكُمْ كما قالَ أخو هَوَازنَ:

أمَـــــــرْتُكُم أمَـــــــرِي بِمُنْعَـــــــرج اللَّـــــــوى

فَلَــمْ تَسْــتَبينُوا النُّصْــحَ إلاَّ ضُــحَىَ الْغَــدِ[٣٧]

لقد بدأ الإمام (عليه السّلام) خطبته بأسلوب مُطلق مباشرة تمثلت فيها الدّقة والوضوح بإيجاز غير مُخلٍ مع قُدرة في الإشارة إلى عمق المقصد، والغاية، الذي قدّر فيه تحقيق رغبة الوجدان والذوق، أو الحالة النّفسية المتأزمة باستعمال أروع الألفاظ، وأدقّها، إذ جعل الكلمات في مواقعها المناسبة للمقاصد، فبدا له أنَّ الحمد والثناء والشكر والرضا على ما آل إليه الأمر من فساد رأي الأمة في الاختبار الذي فرضه عنوان الغواية، ومعادن الغشمة والضلالة، فكان خطباً فادحاً، ومصيبة كبرى، ومحنته عظيمة، ونائبة مشينة لا تسبر أبعادها، إلاَّ أنَّ ذلك زاد الإمام (عليه السّلام) ثباتاً على المبادئ، وإيماناً بما قُدّر، مع شعوره بالحسرة على واقع جنده بطلبهم المعصية، والتماسهم الجحود الذي لم يكن مبنياً على اعتقادٍ، بل هوس وميل دنيوي فتألم الإمام (عليه السّلام) لواقع حال النّاس الذين رغبوا عنه، ولم يلتزموا إرادته في أن يرسم لهم الطّريق الأمثل لحياة دنيوية تطمئن فيها نفوسهم، وتأنس وتُسّر بها أفئدتهم، عدا الحياة الباقية السرمديّة التي وعدَ بها الرحمن ملتزمين الحقَّ والصّواب، فقد أسدى الإمام النّصيحة، وقدّم الإرشاد لكلِّ فضيلة يحتاجها الإنسان في

[٣٦] نهج البلاغية (شرح الشيخ محمّد عبده): ١/٣٠، والثبور: الهلاك.

[٣٧] نهج البلاغة (عبدة): ١/٨٥-٨٦.

دنياه وآخرته، حتّى قال فيما تروي الأخبار ((أعيروني جماجمكم ساعةً من النّهار (أضمن لكم النصر)) غير أنَّ ذلك لم يكن في مستطاع الإمام (عليه السّلام) ومعظم جنده الذي ركبوا الغواية، واستهواهم الشيطان فكانوا لقمةً سائغة في رغبات أصحاب الجهالة والبغي فشبّه الإمام حالَهُ (عليه السّلام) مع أتباعه بحال قصير حكيم جذيمة ملك الحيرة، والذي لم يعبأ بمشورته مع تباين الأهداف والغايات، وقد توخى بقوله هدفين: الأوّل تاريخي، إذ المكان نفسه، فالكوفة لا تبعد عن الحيرة عاصمة الملك جذيمة إلاّ بضعة أميال، وهي موقع الحدث والثاني: مجازي، رُكبَ من استعارة تمثيلية شبّه بها حاله وقومه بحال قصير وقومه، فكان ما كان من قتل الملك جذيمة لعدم قبوله النصح، فاستعار الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية وأكَدَّ النص النثري، بما يدعمه ممّا يحفظ (عليه السّلام) من ديوان العرب الشعري ببيت لدريد بن الصمة الجسمي الممتد النسب إلى هوازن في ابتعاده عن السّجع، فأمسَتْ خطبتهُ إدارية واقعية، التزمت وصف الأحداث، وطغت عليها الجمل الخبرية، وقلّت الجمل الإنشائية، بينت حال المفكر المصيب بعمق في الرأي ودلالته على الأمثل، وظهرت فيها مسالك القدرة بالإشارة إلى الحقّ والمنطق[٣٨].

٥- والتعريف ببعض ما التبس من سمات الدين وصفاته قال (عليه السّلام): ((وإنَّما سُمِّيت الشّبهة شبهة، لأنَّها تشبه الحقَّ، فأمَّا أولياء الله، فضياؤُهم فيها اليقين، ودليلهم سَمْتُ الهُدى، وأمَّا أعداءُ الله فَدُعاؤهم فيها الضَّلال ودليلُهم الْعَمى، فما ينْجوُ من الموتِ مَنْ خافَهُ، ولا يُعطي البقاء مَنْ أحبّه))[٣٩]، فالشبهة: الحادثة التي تقترن الحقَّ وغيره، فالصالحون وأولياء الله يدركون بها الحقّ، وأعداء الله، والطامحون إلى الضلالة يقصرونها على الباطل، الذي يهديهم غيهم إليه، فهي إذاً: الطريقة للوصول إلى مبتغى مُراد المؤمنين ودليلهم، وهي المقصد لِمَنْ أرادها لتكون عنواناً للظالم ودليلاً عليه. والنّهاية مقدرة لطالبي المقصدين تساويهم في الموت، فلا ينجو منه مَنْ خافَهُ، ولا يُعطي البقاء لِمَنْ أحبّه.

٦- والحدس الغيبي اليقيني، الذي يخبر به عن المستقبل، وذلك العلم أخذه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) إذ دعا لهُ بأنْ يعيه صدره، وتضمنه جوانحه[٤٠]، كما قال هو (عليه السلام) عن نفسه: (تا للهِ لقَدْ عُلِّمْتُ تبليغ الرسالات وإتمام العدات، وتمام الكلمات، وعندنا أهل البيت. أبواب الحكم وضياء الأمر))[٤١]، فعنده (عليه السّلام علم تحصيلي) ليس عند غيره. قال عن أحد المفسدين للدين: ((أمَا إنّه سيظهر عليكم بَعْدي رَجُلٌ رَحْبُ البُلعُوم مُندحق البطن، يأكلُ ما يجدُ، ويطلبُ ما لا يجد، فاقتلوه ولنْ تقتلوه، إلا وإنّه سيأمُركم بسبي والبراءَة مني فأمَّا السَّبُّ فسبوني فإنَّهُ لي زكاةٌ ولكم نجاةٌ، وأمَّا

---

[٣٨] ينظر: فن الأُسلوب (دراسة وتطبيق) عبر العصور الأدبية (د.حميد آدم ثويني): ٦٤١-٦٤٢.

[٣٩] نهج البلاغة (عبده): ٨٩-٩٠.

[٤٠] ينظر: شرح نهج البلاغة ٠ابن أبي الحديد): ٨/١٠٠.

[٤١] المصدر نفسه: ٤/٢٢٤.

البراءة، فلا تتبرأوا مني، فإنّي ولُدْتُ على الفطرة وسبقْتُ إلى الإيمان والهجرة))[٤٢]، والسمات التي أقرّها الإمام (عليه السّلام) تنطبق تمام العرض في الوصف على معاوية وقد صدق الإمام بحدسه اليقيني في تولي إمارة المؤمنين ظلماً، من كان معروفاً بنسبه وحسبه، ذكر المنصفون من المؤرخين ما قررّه الإمام (عليه السّلام) وإقراره سبّ أبي تُراب على المنابر في خطب الجمعة وتعمية المسلمين عن ضوء معدن الرسالة ويعسوب الدين. وأمر الإمام بمرضاة السّب تقيّة لأتباعه من بطش الموكلين الدنيويين، ولكنّه (عليه السّلام) منع البراءة منه منفعة لِمَنْ أحبّه، لأَنَّ البراءة من الإمام والإنسلاخ من مذهبه، ودعوته إلى جادة الصّواب، الخسران المبين وضياع الإنسان في دنيه، وهدم لمعتقده. وقد سوغ الإمام (عليه السّلام) ذلك بكونه قطب الإيمان الإسلامي وناشر دعوة الله، وأصول معتقده في سجيته وهجرته.

٧- الدعوة إلى ترك ما يسيء إلى الدين في تعلم علم النجوم والكهانة والسّحر، وطلب ما يفيد من ذلك في علم الهيئة، والاهتداء بالنجوم، قال (عليه السّلام) يخاطب أحدهم: ((أتزعْمُ أنّكَ تهدي إلى الساعة التي مَنْ سار فيها صُرف عَنْهُ السُّوء. وتَخُوِّف مِنَ السَّاعةِ التي مَنْ سار فيها حاقَ به الضّرُّ، فَمَن صَدَّق بهذا فقَد كذَّبَ القُرآن واستغنى عن الإعانة بالله في نيل المحبوب، ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعاملِ بأمْرِكَ أنْ يُوليكَ الحمْدَ دون ربِّه لأنّكَ بزعْمِكَ أنْتَ هدَيْتُه إلى الساعة التي نال فيها النّفع، وأمِنَ الضُّرَّ (ثُمَّ أقبل عليه السّلام على الناس فقال): أيَّها النّاسُ إيَّاكُمْ وتَعَلُّمَ النَّجُومِ إلاَّ ما يُهْتَدى به في بِرٍّ أوْ بحرٍ، فإنّها تدعوُ إلى الكهانةِ والمُنَجِّمُ كالكاهِنِ كالسَّاحِرِ، والساحرُ كالكافر، والكافرُ في النّار، سيرُوا على اسْمِ الله))[٤٣] فالإمام في هذه الخطبة، دعا إلى معرفة علم النجوم وتعلمه في سيرها وحركتها للاهتداء بها في مفازات الأرض، وظلمات البحار، فهو أشار إلى ما أطلق عليه (علم الهيئة الفلكية)، ونهى عن الأهتداء إلى ما يسمّى بعلم التنجيم، وهو علم يدعو إلى الاعتقاد بروحانية الكواكب، وتلك الروحانية العلوية لها سلطان معنوي على العوالم العنصريّة ومكوناتها، ومَنْ يتصل بأرواحها بنوع من الاستعداد، والمعاونة الشيطانية، ومن الرياضة المستديمة للمكاشفة بما غيّب من أسرار الأحوال الإنسانية في مستقبلها، وتلك قد منعها الإمام (عليه السّلام) بحجة حاسمة تحرّم خيالات المعتقدين بالرمل، والجفر، والتنجيم، وما شاكلها وذلك دليل واضح على عدم صحتها، ومنافاتها للأصول والأحكام الشرعيّة والعقلية.

المبحث الثّاني

---

[٤٢] نهج البلاغة (عبدة): ١/١٠٥-١٠٦، ومندحق البطن وعظيمه. قال الشارح، يقال: عني زياد بن أبيه وبعضهم يقول عني المغيرة بن شعبة، والبعض يقول معاوية. ولكني أرى الأخير هو المقصود، لأسباب سأعرضها في المتن.

[٤٣] نهج البلاغة (عبده): ١/١٢٨-١٢٩. حاق به الضُّر: أحاط به وما يهتدى به: طلب تعلّم علم الهيئة الفلكية، وسير النجوم وحركتها للاهتداء بها. بروحانية الكواكب، وتلك الروحانية العلوية لها سلطان معنوي على العوالم العنصريّة.

أهمية نهج البلاغة العلميّة والأدبيّة

لا يمكن الجزم بأنَّ النّصوص القوليّة التي وردَت عن عصر الرسالة، والعصور التي تلته، حتّى عصر التدوين القرن الثاني الهجري قد خلت من عوامل الوضع، والانتحال، لأسباب كثيرة لعلّ من أهمها العوامل السياسيّة ، والاجتماعيّة، وأخرى لا مجال لإماطة اللّثام عنها، ولعلَّ أيضاً ما سرَده الشريف الرضي عن مواصفات لكلام أمير المؤمنين (عليه السّلام) لم تكن موجودة في غير كلامه (عليه السّلام)، ولم ينقلها بتمامها، فأضاع فرصاً كبيرة على الذين رغبوا أن يدرسوا مفهومات كلام أمير المؤمنين (عليه السّلام)، لأنَّ بعض ما نقله مُجزءٌ، بما يراه مناسباً على وفق منهجه الخاص، وهذا الأمر جعلَ طائفة من النّقاد قديماً وحديثاً ينسبون الكتاب للشريف (وهو محظ وهم)[*] لأسباب أقرّوها منها: (١) احتواء الكتاب على جوانب اعتراضيه على العديد ممّا كان يُعرف بالصحابة، (٢) والأفكار العميقة، والأحكام في الفكر، والميل إلى الألفاظ الفلسفية الاصطلاحيّة في نحو (الأين والكيف ونحوهما) فضلاً على الدعوة إلى استعمال الطريقة العدديّة في شرح المسائل وتقسيمات الفضائل، والرذائل، والدّقة في وصف ذلك في نحو الكلام على الطاووس، والغراب، والنملة، وهذا لم يكن معروفاً في عصر الإمام (عليه السّلام)، ناهيك عمّا نُقل من التنسيق اللّفظي، وآثار الصّنعة، وهو غير معهود في عصر الإمام (عليه السّلام)، إلى جانب الأمور الغيبيّة اليقينية، وأولئك يُرد عليهم، ما أودع الإمام (عليه السّلام) من علوم ألهاميّة أقرّها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) عند الإمام، وتمناها على الله أنْ يصير إليه أمر الإمام فيها، ومصاديق ذلك كثيرة، بَدَتْ مع تبني الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) للإمام علي(عليه السّلام) فقد نقل أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال لعمّه العباس وكان من أسر بني هاشم: ((إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال... فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله... فأخذ محمّد عليّاً، وهو أصغر أبناء أبي طالب فضمه إليه[٤٤]... وقال ((قَدْ اخترت من اختاره الله لي عليكم عليّاً))[٤٥]، وقوله (صلى الله عليه وآله وآله وسلّم): ((أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن المدينة فليأت الباب))[٤٦]. وقوله (صلى الله عليه وآله وسلّم): ((لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ ووارثٌ وإنَّ عليّاً وصييٍّ ووارثّي))[٤٧].

نهياك عمّا عُرف بقوة فكر الإمام (عليه السّلام) ونبوغه الفطري، ومكانته الدينية الرفيعة، فما ذكر ليس سوى ثمرة عقلٍ مفكر، وموهبة ألهية وعاها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وما ورد عنه من سجع عن طبع لا عن صنعة، وما نقل عنه من بعض القضايا الغيبية، هي ما تعلمه عن النبي (صلى

---

[*] أثبت ذلك د. أحمد الربيعي في كتابه العُذيق النضيد، الذي كتبه في خمس عشرة سنة.

[٤٤] عليّ إمام المتقين، تأليف عبد الرّحمن الشرقاوي: ١٧، دار القارئ، لبنان، ط/١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

[٤٥] شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ٤١/١.

[٤٦] كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للمتقي الهندي: ٤٠١/٦.

[٤٧] المصدر نفسه: ١٥٤/٦.

الله عليه وآله وسلّم)، إلى جانب فطنته في استنتاج القضايا من أسبابها ومقدماتها، وتلك إضاءة، لابُدَّ من أن يحدد بعدها مفهوما العلم والأدب: فالعلم في اللغة يُراد به المعرفة والشعور، والإتقان، واليقين فيقال: علْمتُ الشّيء أعلمه علّماً: عرفته، ويقال: ما علمْتُ بخبر قدومك: أي ما شعرت به، ويقال: علم الأمر وتعلمهُ: أي اتقنهُ، وفي الاصطلاح: حصول صورة الشيء في العقل، وهو صفة توجب لمحلها تميزاً بين المعاني لا يحتمل النقيض[٤٨]. وقال الكفوي (ت١٠٩٤هـ)[٤٩]: ((والمعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلق، وهو المعلوم، ولهُ تابع في الحصول، فهو اعتقاد جازم مطابق للواقع[٥٠]، وذلك ما كان واضحاً في إدراك الإمام (عليه السّلام)، وهو يتحدث عن مخلوقات الله ومحدوداته ويمكن عرضها فيما يأتي:

(١) إحصاء للزمن وعَدّه قال (عليه السّلام): ((الحمُد للهِ خالقِ العبادِ، وساطح المهاد... لا يخفى عليه من عباده شُخوص لحظةٍ، ولا كُرور لفظةٍ، ولا ازدلافُ رَبْوةٍ، ولا انبساطُ خطوةٍ في ليلٍ داجٍ، ولا غسقٍ ساجٍ يتفيأ عليه القمرُ المنير، وتعقبه الشّمْسُ ذاتُ النّور، في الأفُولِ والكرور، وتقلُّبِ الأزمنة والدهور، مِنْ إقبال ليلٍ مُقبل، وإدبار نهارٍ مُدبرٍ، قبل كُلِّ غايةٍ ومِدَّةٍ وكُلِّ إحصاءٍ وعِدّةٍ، تعالى عمّا يَنْحلهُ المحدِّودنَ مِنْ صفاتِ الأَقْدار،....))[٥١]، فقد كان (عليه السّلام) شديد الصّلة بالخالق، كثير الأجلال، والتعظيم، والخوف منه فكان طبيعياً أنْ يلهمه الله عقلاً عرفانياً، وقلباً نابهاً عطوفاً، محبّاً للخير، تُواقاً إلى إدراك حقائق الأشياء، فيصف خالقه بامتداد بصره، ولا تكرار في ألفاظ معجزته القرآن إلاَّ لضرورة قدرها سبحانه، ولا يذهب عن بصره بَعُدْ ربوة وانخفاضها، لأنّه يقع عليها قبل وقوع نظره على منخفضاتها، ولا يترك من معرفته بذلك ليل مظلم ولا ساكن في حركته، وهو ناسخ لنور الشمس، لأَنَّ الظلام عاماً كالضياء بالنهار عبّر عنه (عليه السّلام) بنسخ نور القمر تشبيهاً لهُ بنسخ الظلِّ لضياء الشّمس، وهو من الطّف التشبيهات وأدقّها، في مغيب الشّمس، ورجوعها بالشّروق، فلا يخفى على الخالق كلِّ شيءِ من زمنٍ أحصاه، ووقت عدّه، وهو موجود قبل كلِّ غاية، وذلك خبر عن الذّات الآلهية العلية، فهو في امتداد خطبته واسترسالها، نسب إليه عمّا نسبه المحددون لذاته تعالى، والمعرفون لها، من صفات الأقدار وحال الشّيء من الطّول والعرض والعمق والصّغر والكبر، ونهايات الأبعاد الثّلاثة، إذ لم تكن متساوية في القِدم والأزليّة وله فيها سبحانه أثر التّصوير والتشكيل، وخلق المادة بجوهرها، وأقام لها حدّها، فصّور كلّ شيء وميّزه عن سائر موجوداته من أنواع للنبات أو الحيوان، والإمام عليّ (عليه السّلام) بدا أكثر معرفةً بمكنون خلق

---

[٤٨] الموسوعة الفقهية (الكويت): ٢٩٠/٣٠، وينظر: الوجيز في المنطق الواضح (د.حميد آدم ثويني): ٢٣ وما بعدها.

[٤٩] ينظر: الكليات: ٥١٥، وقد فصل القول فيه بين الصّفحات ٥٤١-٥١٩.

[٥٠] ينظر: التعريفات (للجرجاني): ٢٥١.

[٥١] نهج البلاغة (عبده): ٦٦/٢.

الإنسان إذ يخاطبه: ((أيُّها المَخْلُوقُ السَّوي، والمُنْشأ المَرْعِيُّ في ظلمات الأرحام، ومُضاعفات الأستار، بُدِئْتَ من سُلالةٍ مِنْ طينٍ، ووضعْتَ في قرارٍ مكينٍ، إلى قَدرٍ مَعْلومٍ، وأجل مَقْسُوم، تمورُ في بَطْنِ أُمِّكَ خبيتاً لا تُجِيرُ دُعاءً، ولا تسمعُ نداءً...))[٥٢]، فأنت أيُّها الإنسانُ، استويت في خلقك لضمان عيشك، وإنشأت على إبداع لا شبيه، ولا سابق له، ورعيْتَ في مكان خصص لك من ظُلمات الأرحام وما أحيط بكَ من أستار، وكأنّه يشير إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ۞ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ۞ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[٥٣].

فلسلالة من الشّيء: ما آتى عنه أو انسل منه، والنّطفة: مزيج ينسل منه البدن المؤلّف من عناصر الأرض المخلوطة بالمواد السائلة، فالمزاج البدني أشبه بالمزاج الطيني، بل هو منه بنوع اتقان وإحكام من الخالق والقرار المكين: هو محل الجنين من الرحم، والقدر المعلوم مبلغ المدة المحددة للعمل، والأجل المقدر، والجنين يتحرك حيّاً في بطنِ أُمّه، وهو لا يحار في عيشه، وقد وفّر لهُ ما يتمَّ نضجه دون نداء أو طلب[٥٤].

(٢) وقد نبه الإمام (عليه السّلام) إلى عجائب خلق الله وما أوجده من معالم قدرته، لكي ينظر الإنسان، ويتأمل فيعرف ما يؤكد تمكن الخالق وعظمته، فأعطى (عليه السّلام) عن عجائب مخلوقاته (جلّت قدرته) دلائل وحجج على قدرته، في عرضه صفات مجموعة من المخلوقات التي تعيش مع الإنسان، أو يراها في زمنه الذي يفنيه، مرور اللّيل والنّهار وتعاقبهما، فقال عن الخفاش بصفته من لطائف صنعة الخالق، ودليل عجائب قدرته، لكي يبصّر الإنسان بغوامض حكمته، وبدائع صنعته قال: ((...الخفافيش التي يقضبها الضياء الباسط لكلِّ شيء، ويبسطها الظلام القابض لكُلِّ حيٍّ، وكيف عشيت أعينها عن أنْ تستمد من الشّمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية بُرهان الشّمس إلى معارفها...))[٥٥]. فالإمام بدأ بتوضيح شكل الخفافيش، وكيف باينت ما يطير من طائر أو حيوان، ولم تجانسه في المعيشة والوجود وقد عرض مضمونها بما تآلف، وأتلفت عليه طبائع ذلك الحيوان، وتراكيبه، وكأنّه (عليه السّلام) قد شرّح ذلك الحيوان وتقصى أجزائه فأجنحته من لحوم يَعْرج بها عند الحاجة إلى الطير كأنّها مؤلفة من شقق الآذان، وليس فيها ريش، ولا عماد لها، فبدت مواضع عروقها، وهي تطير وولدها لاصقٌ بها، حالهُ مثل حالها، وختم القول بالدقّة المتناهية للقدرة الآلهية، على إبداع ليس لهُ شبه سابق. ولم يقصر الحديث على ذلك الطائر، بل تكلّم على نوع آخر من الطّير، ليبيّن أنَّ العقولَ تحار فيما كان من طبيعة خلقه وهو الطّاووس

---

[٥٢] نهج البلاغة: ٦٧/٢.

[٥٣] سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

[٥٤] ينظر: تفسير القرآن الكريم (شبّر): ٣٩١.

[٥٥] نهج البلاغة (محمّد عبده):٤٦/٢.

ليوظف ما قصده للتدليل على وحدانية القدرة، ومنشأ الإيجاد فيه في أحكم وضع لبيان ألوانه وفي أجمل ترتيب، وأحسن تنظيم، وقد شمل قولهُ على مظهره، وسبل عيشه وتكاثره، مُعرّجاً على ما دبَّ من عجائب أخرى من المخلوقات، وغرائب الموجودات في نحو حديثه بإيجاز عن الحيتان، والأفيلة، وصغار النّمل (الذُّرَّة)، والذباب الصّغير (الهَمْجة)[٥٦].

(٣) ورأى (عليه السّلام) أنَّ العلم نوعان: ما رسخ في النّفس، وظهر أثرهُ في أعمال الإنسان، وهو بيّن وظاهر للقاصي والداني من الخلق تدركه المخلوقات التي يعاشرها، ومسموع: ما نقل عن تجربة ومخالطةٍ وسماع، والأوّل: هو العلم الحقّ، قال (عليه السّلام): ((العِلم علمان مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يَكُنِ المطبوع))[٥٧]، وقد ميّزَ بين الاثنين فقال (عليه السّلام): ((أوضع العلم ما وقف على اللّسان، وأرفعه في الجوارح والأركان))[٥٨].

(٤) وعُرف عنه (عليه السّلام) التّلميح إلى أمورٍ تبدو لهُ دون غيره حاشا رسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ومنه إشارته إلى (داء البرص)، فقد دعا (عليه السّلام) على أنس بن مالك، وقد أرسلهُ ليذكّر طلحة والزبير شيئاً سمعه عن رسول الله عليه وآله وسلّم) فلوى الأخير الأمر، ورجع إليه قائلاً: ((إنّي نسيْتُ ذلك الأمر)) فقال (عليه السّلام): ((إنْ كُنْت كاذباً فضربكَ الله لها بيضاء لامعةً لا تواريها العمامة)) فأصيب أنس بذلك الداء في وجهه ورأسه، فكان لا يُرى إلاَّ مبرقعاً، ويقول ذلك دعاء العبد الصّالح، وقد سمع أنس قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) لطلحة والزبير: ((إنّكما تحاربان عليّاً وأنتما له ظالمان))[٥٩]، فالعلم عنده (عليه السّلام) قائمٌ على التجارب في القول والفعل ولا يمكن أن يعرفه الإنسان دون أنْ يناديه، فإنْ وافقه وجده، وإلاَّ ذهب عَنْه[٦٠]، وفاته.

(٥) ولهذا جعل الإمام للعلم شروطاً جادةً، وأولّها أنْ يقول الإنسان أو يفعل فعلاً إذا لم يعلم ما يمكن أنْ يؤدي إليه، ما نطق به أو عمله، وأنْ لا يقول عن الأمر كلّ ما يعلمه، وبخاصة في مواضع السلوك، لأنَّ الله سبحانهَ، قد فرضَ على الجوارح فرائض يحتج بها على مَنْ خلق يوم الحساب[٦١]، والأمر يبدو في الأهمية الأدبيّة أكثر فيضاً عند سيّد البلغاء والمتكلمين (عليه السّلام)، فما قاله في الأدب يسمو بأهدافه إلى كلِّ معاني الخير، والرفعة ويدعو إلى ترك ما يسيء، وقد جعل للأدب

---

[٥٦] ينظر: نهج البلاغة (عبده): ٢/٧٣-٧٥. وينظر عن الذّر: الحيوان (للجاحظ): ٦/٢٢، و٧/١٧٦، وهي من الأجناس التي تتقدّم في إحكام شأن المعيشة: ٥/٤١٥، والهمج: ١/٣٦، و٢/١١٠، و٣/٣٠١، في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة النحل، من الآية : ٨].

[٥٧] المصدر السابق نفسه: ٤/٧٩.

[٥٨] نهج البلاغة: ٤/٢٠.

[٥٩] ينظر: نهج البلاغة: ٤/٧٤.

[٦٠] ينظر: نفسه: ٤/٨٥.

[٦١] ينظر: نفسه: ٤/٩٢.

أهمية مثلّى من أفضلها، ما ارتبط منه بالسلوك[٦٢]، وتقديم الإيمان بالآخرة على كلِّ معاني الوجود في الدنيا الفانية، والأدب عنده: صراحة في المعنى، وبلاغة الأداء، وسلامة الذوق، قالَ في إحدى خطبه: ((ألا وإنَّ اليومَ المضمارُ، وغداً السِّباقُ، والسّبقةُ الجنة، والغاية النّارُ...))[٦٣] ففي الأقوال سمو الألفاظ، وعظم قدر المعاني، وصدق التمثيل، وواقعية التشبيه، فيرى عجباً في قوله ((والسبقة الجنة، والغاية النّار))، فقد خالف بين اللّفظين لتباين المعنيين، إذ لم يقل: ((السبقة النار كما قال: ((السبقة الجنة، لكون الاستباق إنَّما يكون إلى هدفٍ منشودٍ محبوب، وتلك صفة الجنة، ولا توجد في النّار ولم يتجه في كلامهِ إلى القول: (والسبقة النّار) بَلْ قال: ((والغاية النّار) لأنَّ الغاية ينتهي إليها مَنْ لا يسرّهُ الانتهاء، والجنة ما يسره فيها بما قدره الله في الآخرة، فقوله (عليه السّلام) باطنه عجيب، وسبر غوره بعيد، وهو كثير في كلامه (عليه السّلام)[٦٤]. فهو في الكلام ينتقل من أسلوب إلى آخر من الأخيار إلى الاستفهام وإلى التّعجب إلى النداء، ممّا يخلب القلوب، ويستولي على النّفوس، والإمام (عليه السّلام) في أقواله الحكمة التي لم تبتعد في أهميتها عن المقاصد العلميّة والأدبيّة التي تُرسل في قضايا الاجتماع بعامة، وواجبات الإنسان نحو نفسه وغيره بخاصة، فتدعو إلى ضرورة معرفة النفس من ذلك قوله: ((هلك امرؤٌ لا يعرف قدرهُ))[٦٥]، ويوزن الكلام بالفعل فيقول: ((إذا تمَّ العقل نقص الكلام)) وهو (عليه السّلام)، يوجه إلى أنَّ معرفة النفس، أساس لكلِّ إصلاحٍ وسبيل إلى كلِّ خيرٍ، وهي شرط أساس لحسن معاشرة النّاس على أنْ تبنى على التقوى قال (عليه السّلام): ((عَجْبَ المرءِ بنفسهِ أحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ))[٦٦]، فالعجبُ كما حددته معاني ألفاظ الإمام (عليه السّلام) حجابٌ بين العقل، وعيوب النّفس، فإذا لم يدركها المرءُ سقط، بل إذا أوغل فيها، عادت عليه بالنقص، فكأنّ العجب سمة أو حاسد يحول بين عقله وتمّامه في تحري المقصد في كلِّ شيءٍ فيمسي صاحبُه مذموماً، محتقراً عند غيره، حتّى وإنْ كان من أصحاب الجاه، والسلطان. وقال (عليه السّلام) ويُعدّ ذلك الكلام من المعاني الشّريفة العالية في مضمونها: ((لسان العاقل وراءَ قلبهِ، وقلبُ الأحمقِ وراء لسانه))[٦٧]، فهذه الحكمة مرصوصة العبارة قيدت بألفاظٍ قليلة، وحوت على معانٍ كثيرة مرجعها إلى أنّ العاقل مَنْ ضبط لسانه فلم يطلقه في غير روية ولا تفكير دائب، فَمَنْ ضبط لسانه أمنَ العِثار، ولم يزلق في المهاوي، أما الجاهل أو الأحمق، فلا تحسب لكلامهِ

---

[٦٢] فن الأسلوب دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية (د. حميد آدم ثويني): ٣١ وما بعدها.

[٦٣] نهج البلاغة (عبده): ٧١/١ وما بعدها.

[٦٤] ينظر: فن الأسلوب (د.حميد ثويني): ٦٤١ وما بعده.

[٦٥] نهج البلاغة (عبده): ٣٨/٤.

[٦٦] نهج البلاغة (عبده): ٤٩/٤.

[٦٧] المصدر نفسه ١١/٤.

حساباً، وقد لا يمنع لسانه من أنْ يبيح بالأسرار، فيقع في مكائد غيره، فرحم الله أبا الحسنين ما دامت الدنيا، ولعن الله حاسديه ومبغضيه، ما سطعت الشّمس، وأفل القمر، والحمد لله ربِّ العالمين.

الخاتمة:

لا غنى من القول إنَّ نهج بلاغة الإمام عليّ (عليه السّلام) لم يكن من الكلام العادي الذي وظّف لمنفعة أو قصدٍ ذاتي خداع، بل بني على تمام المقاصد وأسمى الأهداف، فكانت أهميته تتجلّى في الجوانب الدينية التي قصدها تغيير سلوك الإنسان على مدى العصور والأزمان، وربط ذلك بحقائق وحدانية الله، وبيان عظمته، مطبقة لمضامين السلوك الذي اعتمده الإمام في حياته الدنيا، فجاء على المثاليّة الخلاقة، التي ترى في واقعها فناء المخلوقات، وبقاء المآثر والمحمودات من الأفعال والأقوال، وتباعد عن المثالية الأنفعاليّة التي تتطلبها مواضع الحياة، وتقلبات الزمان، والتي تعتمد على الأحداث التي تمّر على الإنسان فإنْ كان في نفع وجاه طغى وتكّبر، وإنْ كان في ضرٍّ أو مشئمة، ذكر ونظر، وأمَّا الأهداف العلميّة والأدبيّة، فَعُدّت ينبوعاً ثراً، ومعيناً لا ينضب لِمَنْ سعى، واعتمد الأساس القويم، ورجع إلى الأصول الصافيّة النقية التي قامت على التجارب، والألهام الرباني الذي أودعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) عند أحبَّ خلقه الله إليه، فكان الإمام علي (عليه السّلام) مصدر الحكمة، حوى كلامُه النوادر، والشّوارد فصارَتْ ألفاظه ومعانيه فوق مستوى كلام البشر، وتحت كلام الخالق ونبيه، تنير الطريق للعالم على مضي الأزمان والدهور لمن أراد العظة والنصيحة في معرفة كمال القدرة الآلهيّة، فيتأمل بدائع الصنعة الكونية، والمجسدة في عجائب المخلوقات، وتعلّم المتأدب الذي ينبغي مطابقة الكلام لواقع الأحوال في أفضل الألفاظ والمعاني المستقاة من سيّد البلغاء على ما بقي من الزمن الدنيوي غير السّرمدي.

المصادر والمراجع

١- أساس البلاغة، تأليف جار الله، أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، الهيئة المصرية العامة للتأليف، مصر، ١٩٨٥م.

٢- بحار الأنوار، للعلامة محمّد تقي المجلسي (ت١١١١هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، (لا.ت).

٣- تاريخ الأدب العربي-حنا فاخوري- المطبعة البولسية، بيروت-لبنان، (لا.ت).

٤- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، مكتبة الخانجي بمصر، والمكتبة العربية ببغداد عن طبعة السعادة بمصر-١٣٤٩هـ-١٩٣١م.

٥- تفسير القرآن الكريم- للعلامة المحقق الجليل السيّد عبد الله شُبّر (ت١٢٤٢هـ)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط/١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٦- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق (ت٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط/٤، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٧- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، شركة ومكتبة، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/٢، (لا.ت).

٨- الخطاب في نهج البلاغة، بنيته وأنماطه ومستوياته دراسة تحليلية، د.حسين العمري، دار الكتب العلمية، ط/١، لبنان، ٢٠١٠م.

٩- شرح نهج البلاغة، لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد- العراق، ط/١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١٠- الشّهب الثواقب لرجم الشياطين النّواصب- للشيخ عبد الجبار، (لا.م)، (لا.ت).

١١- العُذيق النّضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، د. أحمد الربيعي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٧م-١٤٠٧هـ.

١٢- عليّ إمام المتقين، تأليف عبد الرّحمن الشرقاوي، دار القارئ، لبنان، ط/١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٣- الفروق اللّغوية، تأليف أبي هلال الحسين بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٤٠٠هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط/٢، ٢٠١٠م.

١٤- فصول في بلاغة القرآن الكريم، تأليف د. حميد آدم ثويني، دار الوثائق، بغداد ٩٣١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٥- فن الأسلوب (دراسة وتطبيق) عبر العصور الأدبية، د.حميد آدم ثويني، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان-الأردن، ط/١، ٢٠٠٧م-١٤٢٧هـ.

١٦- في الموروث الفكري للإمام عليّ (عليه السّلام) بعض ما قاله وما قيل فيه، د. حميد آدم ثويني، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠١١م.
١٧- كتاب التعريفات- للعلامة عليّ بن محمّد بن عليّ الحسيني الجرجاني (ت٨١٦هـ)، حققّه وعلق عليه نصر الدين تونسي، الدّراسة، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٧م.
١٨- الكلّيات، مُعجم في المصطلحات والفروق اللّغويَّة لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القرَيميِّ الكفويِّ (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق د.عدنان درويش ومحمّد الخضري، مؤسسة الرسالة، دمشق سوريا، وبيروت-لبنان، ط/٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
١٩- لسان العرب، لابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، وط/٢ (د.ت).
٢٠- مجمل اللّغة-لابن فارس أحمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٢١- مختار الصحاح- تأليف محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
٢٢- مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٣٩٢-١٣٩٣ و.ر، ١٩٨٣-١٩٨٤م.
٢٣- مصباح البلاغة، للميرجهاني (لا.م)، (لا.ت).
٢٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- للرافعي- تأليف العلامة أحمد ابن محمّد بن عليّ المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ)، صححه مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- بمصر (لا.ت).
٢٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (لا.ت).
٢٦- مفردات ألفاظ القُرآن- تأليف العلامة الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين ابن محمّد (ت٤٢٥هـ)، تحقيق -صفوان عدنان داوودي-دار القلم دمشق، الدار الشامية-بيروت-ط/٥، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٢٧- موارد بن أبي الحديد في كتابه شرح نهج البلاغة، تأليف يحيى رمزي محسن، دار الحوراء للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ.
٢٨- موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) في الكتاب والسّنة والتاريخ، محمّد الريشهري (لا.م)، (لا.ت).

٢٩- نهج البلاغة، للإمام عليّ بن أبي طالب (س.ت ٤٠هـ) (عليه السّلام)، شرح الشيخ محمّد عبدة (ت١٣٢٣هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت-لبنان، (د.ت).
٣٠- الوجيز في المنطق الواضح، تأليف، د.حميد آدم ثويني، مؤسسة البركة للدعاية والنشر والإعلان، بغداد، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.